العلني بالكفاح المسلح، واعلانها المسؤولية عن الهجمات العسكرية على الاهداف الاسرائيلية في الارض المحتلة. يضاف الى ذلك، أن الاحوال السياسية لمنظمة التحرير في تحسن تدريجي حالياً، بالمقارنة مع وضعها خلال النصف الثاني من العام ١٩٨٦؛ ويعود الفضل في ذلك، جزئياً، الى نجاحها في اعادة وحماية قاعدتها العسكرية في لبنان. الا ان كل ماسبق لا يعني ان الخيار العسكرى شكل الوسيلة النضالية الناجعة الوحيدة، أو حتى انه كان السبب الرئيس في بقاء م.ت.ف. قائمة، وفي تجدد حيويتها.

اما على المستوى الثاني من التحليل، فان الضابط الفدائي يثير قضايا الهوية والشرعية في السياسة الفلسطينية. فقد لعب العمل العسكري دوراً مركزياً في احياء الهوية الفلسطينية منذ العام ١٩٦٥، وفي تعزيز شرعية القيادة الفلسطينية لدى شعبها المشتت. وأعاد النضال المسلح شعور عزة النفس والكرامة ووعي الوجود الذاتي الى الفلسطينيين، مهما كانت اتجاهاتهم وقناعاتهم، وكرّس وجودهم السياسي (مقابل الوجود كلاجئين) في الخارطة العالمية. الا ان هذا الاساس لاعادة تأكيد وفرض الذات ـ أي العمل العسكري ـ يجد نفسه في تناقض مع الاهداف المتحولة والنمط المتغير لنشاط م.ت.ف. وليس فقط مع قيود الدبلوماسية الدولية التي تتطلب وقف، أو على الاقل تهميش، الكفاح المسلح. وكأن كلمات الضابط، تشير، من غير قصد، الى ان الكفاح المسلح ضروري للحصول على المكاسب الجغرافية، وان لم يكن كذلك، فسوف يظل ضرورياً لتبرير وجود م.ت.ف. في نظر الفلسطينيين، حتى لو هدّد نجاح الدبلوماسية الفلسطينية.

ازاء هذه الاعتبارات المتضاربة، ينبغي طرح السؤال حول الدور الذي يلعبه النشاط العسكري، الآن، في تحديد الهوية والشرعية الفلسطينيتين وفي التأثير في استراتيجية م.ت.ف. وهل ظهرت أُسس جديدة للهوية والشرعية على الساحة الفلسطينية خلال عقدي السبعينات والثمانينات ؟ ان الاجابة تتمثل في امكان توسيع هامش المناورة للقيادة الفلسطينية في المرحلة المقبلة، استناداً الى رصيدها السياسي والمؤسسي، وليس العسكري فحسب. ويجدر التأكيد، هنا، بايجاز، ان حقيقة العمل العسكري ضد اسرائيل مازال يتسم بالاهمية كمؤشر على العزيمة الفلسطينية لدى الحكومات الاسرائيلية والغربية، لكنه لم يعد عاملاً حاسماً في شؤون المنظمة الداخلية. فعلى الرغم من ان الكفاح المسلح مازال يشكل وسيلة لتحقيق غاية خارجية، الا انه تراجع كعنصر عضوي في التركيب السياسي والنفسي الفلسطيني، وصار ثمة اساس لاستراتيجية فلسطينية جديدة، مختلفة، لتحقيق تقرير المصير كما تعرفه م.ت.ف.

كيف حدثت هذه التحولات ؟ كيف حصل التطور التدريجي في موقع العمل العسكري، وفي الدور المتنامي للمؤسسات الفلسطينية ؟ وما هي اسس الهوية والشرعية التي سوف تستند اليها القيادة الفلسطينية في صوغ خياراتها الاستراتيجية الجديدة ؟

تطور الفكر العسكري الفلسطيني، ١٩٦٥ ـ ١٩٧١

ان ظاهرة النضال المسلح الفلسطيني التي انطلقت في منتصف الستينات لم تكن جديدة، بل اتبعت تقليداً ابتدأ ابّان ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، وتواصل خلال حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ وتجربة «الفدائيين» في النصف الاول من الخمسينات. غير ان سمتين رئيستين تميزان حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة عن سابقتها. الاولى، ان الحركة المعاصرة، اضطرت، كلياً تقريباً، الى العمل دون قواعد اساسية داخل حدود فلسطين، ودفع التشتت الشديد للفلسطينيين في المنفى حركة